برنامج [قـرآنـهـم] - الحلقة (16)

السبت : 28 شهر رمضان 1438هـ / الموافق : 2017/6/24م

✤ وصلنا عند هذه الآية مِن سورة الأعراف {الذين اتّخذوا دِينهم لَهواً ولَعِباً وغَرّتهم الحياةُ الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون} هذه الآية جاءتْ استمراراً في تعابيرها مع الآية التي سبقتها وهي الآية 50 من سورة الأعراف: {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنّة أن أفيضوا علينا مِن الماء أو ممّا رزقكم الله قالوا إنّ الله حرَّمهُما على الكافرين} ومَرّ الحديث في الآيات السالفة الذِكْر.. فأهل الجنّة قالوا لأهل النار بعد أن طَلَبوا مِنهم أن يُفيضوا عليهم شيئاً ممّا رزقهم الله، قالوا لهم: { إنّ الله حرَّمهُما على الكافرين}

وهؤلاء الكافرون الذين تتحدّث عنهم الآيات هم أناسٌ عندهم دين، ولكنّهم اتّخذوا هذا الدين لَهْواً ولَعِباً.. فهم لم يُنكروا وجود الله، ولم يُنكروا دين الله، بل قالوا: إنّ الله لهُ دينٌ فيما بيننا، ولكنّهم أساؤوا التعامل مع دينهم، وتعاملوا معه بهذه الطريقة (اتخذوه لهواً ولعباً)

● أصحاب النار هم الجمليون، والجمل جملهم.. والحديثُ هُنا ليس عن أعيانهم الشخصية التي كانتْ في الواقعة (واقعة الجمل).. وإنّما الحديث هنا عن منهجية، فإنّ الجمل كان شيطاناً كما بيّنتْ كلمات المعصومين.

فهؤلاء الكافرون ليسوا هُم الذين عبدوا أصنام الحِجارة، ولا هُم الذين عبدوا الحيوانات.. الحديث هُنا عن الجَمليين ومَن هُم على شاكلتهم.. والجمليّون هُم أولئك الذين نقضوا بيعة الغَدير أولاً (سواء نَقْضاً عَسكرياً أو عِلمياً) فالخُروج على إمام الزمان قد يكون عَسكرياً، وقد يكون عِلمياً.. والخروج العلمي على إمام الزمان علمياً هو نقضٌ لِبيعة الغدير ونقضُ شرطها.. فالشرط المأخوذ علينا في بيعة الغدير أن نأخذ التفسير مِن عليّ، وأن نأخذ الفَهْم مِن عليّ.. فإذا ما تحرّك مُتحرّكنا باتّجاهٍ آخر كي يأخذ تفسير القرآن فقد نقض بيعة الغدير.

● {الذين اتّخذوا دِينهم لَهواً ولَعِباً} هذا التعبير اللّهو اللّعب لهُ أكثر مِن دلالة و معنى.. الآية ربطتْ ما بين الدين وبين معنىً مِن معاني اللّهو واللّعب.. فقطعاً ليس المُراد مِن اللّهو اللّعب هُنا المعنى الطفولي لّلهو اللّعب، وليس المُراد مِن اللّهو واللّعب هنا الفَوضويّة (أي التحرّك مِن دُون هدف ومِن دُون تخطيط). الحديث هنا عن دين.. وأجواء السُورة تُؤخذ مِن عنوانها : الأعراف. ومرّ علينا كيف أنّ السُورة عرضتْ لنا مَشهداً عظيماً مِن مشاهد يوم القيامة.. ومرّ الحديثُ أيضاً عن أنّ هذه الآية {حتّى يَلِج الجمل في سَمّ الخياط} هي مِفكٌ من المِفكّات ومدار الآيات في هذا الجوّ.

هذا الدين الذي جُعِل لهواً ولعباً هو في مواجهة فَهْمٍ أو في مُواجهة دين.. قلْ ما شئت..

فَهْمُ الدين بشكلٍ خاطىء يَجعل منه ديناً آخر.. وهذا نجده في كلماتهم الشريفة "صلواتُ الله عليهم".

● {الذين اتّخذوا دِينهم لَهواً ولَعِباً} هؤلاء وضعوا هدفاً ووضعوا مُخططاً ووضعوا برنامجاً وأحكاماً وأفكاراً مثلما جرى بعد النبي "صلّى اللهُ عليه وآله". نشأ دين السقيفة وأكثر الناس مِن أهل القبلة يقولون نحن على هذا الدين..! وأشياع أهل البيت إلى يومنا هذا هم القلّة، ومع ذلك نشأت ونشأت تشقّقات وتفرّعات داخل هذا الوسط الشيعي، ولو رجعنا إلى جذورها لوجدنا أنّ المُشكلة أيضاً تعود إلى نفس هذا الجذر: جذر اللّهو واللّعب. (وقفة عند مثال لتوضيح الفكرة: المُعلّم والطلّاب)

● هؤلاء من السنّة أو الشيعة حينما يتركون مُفسّر القرآن الحقيقي ويذهبون يركضون إلى جهاتٍ مُختلفة مِن السُنّة أو مِن الشيعة على حدٍّ سواء.. هؤلاء تركوا المُعلّم وتركوا الذي انتخبه المُعلّم كي يُعلّم الطُلّاب في غيابهِ (هذا عليٌّ يُفهّمكم بعدي).. فترك هذا المُعلّم هذا هو بالضبط اللّهو واللّعب.

● {وغَرّتهم الحياةُ الدنيا} غرّتهم أي خدعتهم، فحينما نلتصقُ بهذه الدُنيا تُنسينا وتشغلنا. الحياة الدنيا هذا العنوان يشتملُ على كُلّ تفاصيل الحياة، فحين نتحدّثُ ونقول: الحياة الدنيا (إنّها السياسة بكلّ تفاصيلها وآثارها "الإيجابية والسلبية"، إنّها الإقتصاد بكلّ تفاصيله، الحياة الدُنيا سياسةٌ اقتصادٌ صِحّةٌ طِبٌ، دواء، علاج زينةٌ، تفاخر، تكنلوجيا بكلّ ما أنتجتْ، مدنيةٌ، حضارةٌ، حُروب، مُخدّرات، جرائم بكلّ أشكالها، رجالٌ، نساء شبابٌ، شِيبٌ ولدانٌ، جامعات.. تطوّرٌ علمي هائل، مؤسساتٌ تبحثُ في الفضاء، وأخرى تبحثُ في البِحار.. الحياة الدُنيا بكلّ ما فيها مِن فَرَح وحُزن وابتساماتٍ ودموعٍ وأمنٍ وخوفٍ وسجونٍ وتعذيب، وحُرّية ووو... هذه الحياة الدنيا. وكُلّ واحدٍ منّا بِحسب إمكاناتهِ وبِحسب طموحاته يلتصقُ بِجانبٍ منها..!

● حين نلتصقُ بجهة مِن جهات الدُنيا، فإنَّ الدُنيا تَخدعنا وتُنسينا.. هذا هو معنى: غرّتنا الحياةُ الدُنيا. الحياة الدُنيا هكذا تخدعنا: نلتصِقُ بِجانبٍ منها اختياراً، اضطراراً .. نحن أبناء الدُنيا والله تعالى جبلنا على حُبّها.. ولو لم نكن نُحبّ الدُنيا فإنّنا لا نستطيع أن نُواصل العَيش فيها. حُبّنا للدنيا هو عامل التأمين لحياتنا.. لأنّنا نُحبّ الدنيا نُحافظ على عوائلنا، ونبني أُسراً وبيوتاً، ونسعى في أعمالنا.

كُلّ التفاصيل في حياتنا إذا أردنا أن نبحث عن جذرها فهي بسبب حُبّنا للدُنيا، بغضّ النظر هل هذهِ التفاصيل كانت في المَسار السليم أم ليستْ في المَسار السليم.

● الدنيا لا يُمكن الفراغ منها إلّا بالموت، أو بِمعرفتها. (إذا أراد الله بِرجلٍ خيراً بصّره بعيوب الدنيا).. وهذا المعنى تُوضّحه رواية أخرى: (إذا أراد الله بِرجلٍ خيراً فقهه في الدين)، فقهه في الدين هذا المعنى تشرحهُ رواية ثالثة وهي: (إذا أراد الله برجلٍ خيراً جعله على هذا الأمر - أي ولاية عليّ وآل عليّ -) فهذه المعاني مُتناسقة فيما بينها، وما كان خِلاف ذلك هو اللّهو واللّعب.

■ في سُورة العنكبوت في الآية 46 {وما هذهِ الحياةُ الدنيا إلّا لهوٌ ولَعِب وإنَّ الدار الآخرة لهيَ الحيوانُ لو كانوا يعلمون} تعريف واضح لهذهِ الحياة التي نَعيشها.الحيوان: مُثنّى حياة.. فالآخرة تعني: حياة وحياة. هذا التعبير هنا عن كُلّ الحياة الدنيا.. الحياة الدنيا فيها القوانين، فيها التشريعات، فيها المؤسسات الحاكمة، فيها الجامعات، وفيها..وفيها.

● آخر آية مِن سورة العنكبوت {والذين جاهدوا فينا لنهديّنهم سُبُلنا وإنّ الله لَمع المُحسنين} هؤلاء يجدونَ طريقاً في الحياة يخرجُ عن هذا الوصف.. القُرآن هنا يَصِف الدُنيا بكلّ تفاصيلها (باللّهو اللّعب).. وفي سُورة الأعراف هذه الآية {الذين اتّخذوا دِينهم لَهواً ولَعِباً} يصف الأديان فيها باللّهو واللّعب! هناك طريق في هذه الحياة يلتقي هذا الطريق مع الدين الذي ليس هُو بلهوٍ ولا لعب {والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا}

● في سُورة الأعراف حين كان الحديث عن الظالمين {فأذَّن مُؤذّنٌ بينهم أن لعنة الله على الظالمين * الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونَها عِوَجا وهُم بالآخرة كافرون} هؤلاء الظالمون هُم الذين سيكون دينهم لَهواً ولَعِباً.. أمّا الذين سيتخلّصون مِن هذه الحالة هم الذين جاء ذكرهم في هذه الآية {والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا} وفي سُورة طه يأتي التفصيل.. {وإنّي لغفّا لِمَن تاب وآمن وعمل صالحاً ثُمّ اهتدى} الآية تتحدّث عن الأبواب الأربعة (هكذا سُمّيتْ في أحاديث أهل البيت). لن ينجو الناجي إلّا أن يكون مِن أصحاب هذه الأبواب الأربعة (تاب، آمن، عمل صالحاً - هذه الأمور الثلاثة في مرحلة التنزيل - ثُمّ اهتدى - هذه هي مرحلةُ التأويل)

فأولئك الذين كانوا في زمان النبي "صلّى الله عليه وآله " تابوا، وآمنوا، وعملوا الصالحات، ولكنّهم لم يهتدوا.. فقط اهتدى أُولئك الخواص الذين عرفوا الحقيقة مُنذ البداية.. أمّا الحديث عن عموم الأمّة فعموم الأُمّة بشكل رسمي أُعطيت لها الهداية بشكل واضح في بيعة الغدير.

● {ثُمّ اهتدى} هذه آية من الآيات المَركزية في القرآن، هذه رمز من رموز القرآن ومفتاح مِن المفاتيح.. على ضَوئها نستطيع أن نفْهم الكثير والكثير مِن مضامين القرآن.. (وقفة عند كلمات العترة لفهم هذه الآية)

● وقفة عند مقطع من الزيارة الغَديرية لسيّد لأوصياء في [مفاتيح الجنان] جاء فيها: (وأنّه - أي رسول الله - القائلُ لكَ - يا علي - : والذي بَعثني بالحقّ ما آمن بي مَن كفرَ بك، ولا أقرَّ بالله مَن جَحَدك، وقد ضلّ مَن صدّ عنك، ولم يهتدِ إلى الله ولا إليَّ مَن لا يهتدي بك، وهو قول ربّي عزّ وجلّ: وإنّي لغفّا لِمَن تاب وآمن وعمل صالحاً ثُمّ اهتدى). فالكُفر هنا الذي تحدّثتْ عنه الآيات في سُورة الأعراف هو هذا {قال إنّ الله حرَّمهُما على الكافرين}، وكذلك الآيات السابقة: {فأذَّن مُؤذّنٌ بينهم أن لعنة الله على الظالمين* الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونَها عِوَجا وهُم بالآخرة كافرون}

السُورة مِن أوّلها إلى آخرها في هذا الجوّ العَلَوي.. فهؤلاء الذين لعنهم المُؤذّن وهو علي، هؤلاء هم الذين يصدّون عن سبيل الله. وإذا أردنا أن نُراعي الدقة في الكلام فالهداية إلى عليّ هي غيرُ الهداية إلى ولاية عليّ.. فذلك شيءٌ آخر، الهداية إلى ولاية عليّ هي بابٌ يُوصلنا إلى الاهتداء إلى عليّ.. لأنّنا حين نَهتدي إلى عليّ فقد ولجنا مِن الباب إلى مدينة العِلم والإيمان واليقين والحكمة، إلى مدينة الفيض الإلهي وهناك المراتب لا تنتهي.. وتلك المراتب إنّا هي في معرفة علي

● {الذين اتّخذوا دِينهم لَهواً ولَعِباً} المُراد هنا مِن هذا الدين الذي وُصِفَ بأنّه لهوٌ ولعب هو حينما يُؤخذ الدين مِن غير علي.. فتفسيرٌ مِن غير عليّ إنّه لهوٌ ولعب، وفِقهٌ من غير عليّ لهو ولعب، وصلاةٌ من غير عليّ هي لهوٌ ولعب (هذا في أحسن الأحوال). وهذا المعنى ينطبق على المُخالفين والشيعة على حدّ سواء.

● {فاليوم ننساهم - أي نتركهم ولا شأن لنا بهم - كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون} هذا اليوم هو اليوم الذي كان الرجال على الأعراف.. والآيات هُم آل محمّد، وليستْ هي آيات الكتاب.. آياتُ الكتاب في ألفاظها وفي جُمَلها هي صورةٌ صامتةٌ عن الآيات الناطقة، فالحديث عن الآيات الناطقة وليس عن الآيات الصامتة. وإذا افترضنا أنّ الحديث عن الآيات الصامتة، فإنّ الآيات الصامتة هي عنوان يُشير إلى الآيات الناطقة.

■ وقفة عند حديث الإمام الرضا في [تفسير البرهان: ج3]

(عن عبد العزيز بن مسلم، قال : سألتُ الرضا علي بن موسى "عليهما السلام" عن قول الله عزّ وجل: {نسوا الله فنسيهم} فقال "عليه السلام": إنَّ الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو، وإنّما ينسى ويسهو المخلوق المُحْدث، ألا تسمع قوله عزَّ وجل يقول: {وما كان ربك نسيّا} وإنّما يُجازي مَن نسيَهُ ونَسي لقاء يومهِ بأن يُنسيهم أنفسهم، كما قال عزَّ وجل: {ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون} وقوله عزّ وجل {فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا} أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا).

■ {ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناهُ على عِلم هُدىً ورحمةً لقوم يؤمنون} هؤلاء الذين اتّخذوا دينهم لهواً ولعباً.. يقول القرآن عنهم: {ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناهُ على عِلم} . هذا الكتاب قد فُصّلتْ فيه الحقائق.. هذا الكتاب بُيّنتْ آياتهُ وأُحكمتْ آياته.

ولكنّهم تعاملوا مع هذا الكتاب بأن قالوا: (حسبُنا كتاب الله) وهم لا يملكون الوسائل والآليات لفهمهِ أو للتعامل معه.. المُشكلة في تأويله {وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم} وهذا هو جزء من مرحلة التأويل. فَهْم القرآن بالنحو الصحيح هو جُزء مِن منظومة التأويل، وإلّا فالتأويلُ الذي ذكره رسول الله وأنّ علياً يُقاتِل على التأويل.، فذلك هو الدين بكلّ تفاصيله وأجزائه.

(المنظومة الكاملة الشاملة العامّة التي يُمثّل القرآن وتأويل القرآن جزءاً منها)

● {ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناهُ على عِلم} لو أنّهم اتّجهوا إلى هذا الكتاب بالنحو الصحيح، فالقُرآن يُنْبئوهم بشكل واضح.

أولاً: يُنبئوهم في حُروفه المُقطّعة أنّهم لن يستطيعوا فهمها، فإذا لم يستطيعوا فَهْم جزءٍ من القرآن فإنّ الفَهْم الذي سيصلون إليه سيكون خاطئاً لأنّ المُعطيات ناقصة.. حينما تكون مُقدّمات البحث ناقصة فالنتائج ستكون ليستْ صحيحة. القرآن نفسه أيضاً لو رجعوا إليه يسألونه عن الجهة التي تعرفه وتعرف حقيقته فسورة آل عمران بيّنت هذه الحقيقة: {وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم} ولو أرادوا أن يسألوا القُرآن أيضاً عن الراسخين في العلم فالقرآن أيضاً بيّنهم. فلو رجعوا للقرآن فعلاً لاهتدوا وما صار دينهم لَهواً ولَعِباً..وهذا هو الذي يقوله أهل البيت {مَن لم يعرف أمرنا مِن القرآن لم يتنكّب الفِتن} وهذا الكلام موجّه للشيعة.

● {ولقد جئناهم بكتابٍ فصّلناهُ على عِلم} هذا الكتاب صِلة بين عَالم الغَيب والشهادة وفيه علم.. هذا العلم هو علم رابط بين عالم الغَيب والشهادة.. فلابُد أن يكون هناك مِن مُتخصّص عالم يستطيع أن يُفكّك لنا ما في هذا الكتاب مِن الأسرار والمعارف. لو أنّهم فعلوا ذلك لَما كان دينهم لهوٌ ولعب.. لو اتّجهوا في الاتّجاه الصحيح لوصلوا إلى هذا الوصف {هُدىً ورحمةً لقوم يؤمنون} النتيجة النهائية مِن هذا الكتاب: الهُدى والرحمة.

■ قوله تعالى: {هل ينظرونَ - أي ينتظرون - إلّا تأويلهُ يومَ يأتي تأويلهُ يقول الذين نسوهُ مِن قبل قد جاءتْ رُسُل ربّنا بالحقّ فهل لنا مِن شُفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعملَ غير الذي كُنّا نعمل قد خَسِرُوا أنفسهم وضلَّ عنهم ما كانوا يَفترون}. الحديث عن التأويل هنا ليس الحديث عن بياناتٍ لُغوية، وإنّما الحديث عن تفسيرٍ كونيّ للقرآن، أنّ حقائق القرآن تتحقّق على أرض الواقع. وقد بيّنتُ فيما سلف أنّ مَرحلة التأويل بدأت مُنذ يوم غدير خم وهي في حالة تكاملٍ وتسامي إلى هذه اللّحظة.. حتّى في مرحلة الغَيبة هناك نحوٌ من التكامل في مرحلة التأويل هذه.. ونحن في حالة تكامل باتّجاه يوم الخلاص (يوم التأويل الكامل)

● {يومَ يأتي تأويلهُ يقول الذين نسوهُ مِن قبل قد جاءتْ رُسُل ربّنا بالحقّ} الحديث هنا ليس عن الأنبياء فقط.. فالأنبياء رُسُل.. والمُرسلون رُسُل.. والملائكة رُسُل.. والأوصياء والأئمة رُسُل.. وحتّى هذه الكُتب وهذا القرآن هو رسول.. وكُلّ ما يأتينا مِن سببٍ يجعلنا في حالة تواصلٍ مع الله تعالى ينطبقُ هذا العنوان عليه. في كلمات أهل البيت الآية هنا تتحدّث عن قيام القائم..

● {يقول الذين نسوهُ مِن قبل قد جاءتْ رُسُل ربّنا بالحقّ فهل لنا مِن شُفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعملَ غير الذي كُنّا نعمل} هؤلاء الذين نسوا إمام زمانهم سواء كانوا مِن أهل القِبلة أو مِن غيرهم.. فالنسيان لإمام زماننا على مَراتب:

- النسيان لإمام زماننا قد يكون إنكاراً له
- النسيانُ لإمام زماننا قد يكون جهلاً بهِ
- النسيان لإمام زماننا قد يكون جفاءً
- النسيان لإمام زماننا قد يكون تَقصيراً.. كما هو حالنا، فنحن لا نجهلُ إمامته، ولا نُنكر إمامته، ولا نُعاديه، ولكنّنا في حالةِ نسيانٍ له

● {يومَ يأتي تأويلهُ} هذا التأويل هو تأويل الكتاب، وهو تأويل الدين.. ما وصلنا إلينا من الحقائق ها هي علائمه قد بدتْ.

● {فهل لنا مِن شُفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعملَ غير الذي كُنّا نعمل} قد يقول قائل: هذه العبارة قد تُشعِر أنّ الآية ترتبط بيوم القيامة.

وأقول: نعم هذا ورد في الروايات، فالآية لها أكثر مِن دلالة.. وآيات القيامة في تفسير أهل البيت تُفسّر باتّجاهين:

- تُفسّر باتّجاه قيام القائم.
- وتُفسّر باتّجاه قيام القيامة.. وهذا واضح لِمَن أراد أن يرجع لتفسير أهل البيت للقرآن.

والاتّجاهان صحيحان.. قد يختلفان في جانب ولكنّهما يلتقيان في جانبٍ آخر.. وقيام القائم هو الآخر عُبّر عنه بالقيامة.. هُو مَرتبةٌ مِن مَراتب القيامة ولكنّها في الدُنيا وليست في الآخرة (فقيام القائم: الدولة المهدوية المُمتدة من يوم الخلاص إلى زمان جنّة الدُنيا التي هي دولة نبيّنا صلّى اللهُ عليه وآله) . هذه كلّها يُمكن أن يُطلق عليها قيامة الدُنيا، وقيامة الآخرة تلكَ هي التي لها أشراطٌ وخصائص مُعيّنة وإنّما تكونُ بعد نهاية عُمر الدنيا.

● { أو نرد فنعملَ غير الذي كُنّا نعمل} يعني أن نُردّ إلى زَمان الغَيبة.. كان مِن المُفترض أن نعمل في زمان الغَيبة. لأنّ الذين سيفوزون عند ظهور الإمام أولئك الذين نصروا الإمام في زمان الغَيبة.. أمّا الذين لم يَنصرُوا الإمام في زَمان الغَيبة لن يُوفّقوا لِنُصرتهِ عند الظهور. والنُصرة تبدأ مِن النيّة، نيّة الولاء لإمام زماننا، ونيّة الانتظار، ونيّة البراءة مِن أعدائه (هذا لونٌ مِن ألوان نُصرة إمام زماننا) قد يكون أضعف الإيمان، ولكن هذا نصر لإمام زماننا.. فمن لم يكن ناصراً لإمام زمانه في زَمَن الغَيبة فلن يُوفّق لنصر إمام زمانه عند الظُهور.

● ما نجدهُ في الأحاديث الشريفة أنّ كثيراً مِن الناس سيكونون نُظّاراً: أي مُتفرّجين يُراقبون الأحداث عِبْر التلفزيون مِن بُعْد.. لن يُوفّقوا لنُصرة الإمام؛ لأنّهم لم ينصروا الإمام الحجّة في زمان غَيبته!

هذا الأمر سيحدث للكثير من الشيعة وحتّى مِن سائر الشعوب الأخرى.. ولكن الحديث هنا عن أجوائنا الشيعية.

● الروايات تتحدّث عن أنّ الذين يَرجعون مع الإمام في دَولتهِ هم مَن محضوا الإيمان مَحضاً، ومحضوا الكُفر مَحضاً.. والسبب: لأنّ ماحضُ الإيمان قَطْعاً كانَ يعمل، وإلّا كيف صار ماحِضاً للإيمان..؟!

في هذا المقطع الزماني لن يرجع مع الإمام الحُجّة إلّا مَن مَحَض الإيمان مَحضاً.. ربّما تكون هناك جموع أخرى ترجع في مقاطع أخرى.. فمرحلة الرجعة مرحلة فسيحة وسيعة وطويلة المُدّة.أمّا أولئكَ الذين يبقون مُتفرّجين عند ظهور الإمام ولا يُوفّقوا لِنُصرته فلأنّهم ما كانوا يعملون في زَمان الغَيبة، ولم ينصروا إمام زمَانهم في غَيبته، ولِذا فإنّهم يتمنّون لو يجدوا شُفعاء يشفعوا لهم للمُشاركة في نُصرة إمام زمانهم.

■ {إنّ ربّكم الله الذي خلَقَ السماوات والأرض في ستّة أيّام ثُمٍ استوى على العَرْش يُغْشي الّليل النهار يطلبهُ حثيثاً والشمسُ والقمرُ والنجومُ مُسخّراتٌ بأمرهِ ألا لهُ الخَلْقُ والأمر تبارَكَ الله ربّ العالمين} السماوات والأرض هو عنوانٌ للوجود. وهذه الآية تُريد أن تقول أنّ كُلّ شيءٍ يجري بنظام.

● قول الآية: {خلَقَ السماوات والأرض في ستّة أيّام} هذه الأيّام ليست كأيّامنا.. في سِتّة أيّام: أي سِتّة مَقاطع، سِتّة مَراحل، ستّة مراتب.. عبّر ما شئت.

● قوله تعالى: {ثُمٍ استوى على العَرْش} حقيقة العرش نحنُ نجهلها، وما جاء في الروايات هو تقريبٌ للمعاني بحسب أذهاننا. الاستوائية على العَرش عُنوانٌ يُشير إلى التَسلّط والتَنظيم.. فهذا الوجود محكومٌ بسلطة نافذة في كلّ جانبٍ منه، ومحكوم بنظام وبقانون.

وحدةُ النظام من أدلّ الأدلّة ومن أفضلها على وجوده سُبحانه وتعالى وعلى وحدانيّتهِ.. وهنا الآية تُعطينا صُورةً مِن صُور هذا النظام.

● قولهِ تعالى: {يُغْشي الّليل النهار يطلبهُ حثيثاً} فكأنّ الّليل يأتي يُغطي النهار.. وكأنّ الّليل يتحرّك سَريعاً وراء النهار كي يُغطّي هذا النهار.. فكأنّ الّليل بمثابة غطاء.

● {والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره} إشارة إلى التسلّط والنظام والتنظيم.

فالآية كلّها تتحدّث في هذين العنوانين:

• التسلّط والحكم النافذ القوي.

• والنظام (نظام موحّد مبني على أساس الحِكمة).

وهذا المحور محورٌ واضح في مضامين سُورة الأعراف من البداية.. الحديث عن جهة منصوبة مِن قِبَلهِ تعالى، وهذه الجهة هم الأعراف، فهناك سُلطة، وهناك تنظيم.. ومثلما هناك أعراف في الآخرة، هناك أعراف في الدُنيا.. وهو نفس المعنى الذي بيّنه الإمام الصادق للمُفضّل بن عُمر حين سأله عن الصراط، فقال له الإمام:

(الصراطُ صِراطان: صراطٌ الدنيا، وصراطٌ في الآخرة، فأمّا الصِراطُ الذي في الدُنيا فهو الإمامُ المُفترض الطاعة مَن عرفه في الدنيا واقتدى بهُداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومَن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمهُ عن الصراط في الآخرة، فتردّى في نار جهنم)

● {ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين} الخلق والأمر يعني كُلّ شيء (ما يُرى وما لا يُرى) تكويناً وتشريعاً، في عالم التقدير وفي عالم الفعل والتنفيذ.. والمُراد مِن التشريع: ليس الديانات لبني البشر في الأرض، وإنّما المراد من التشريع قَوانين الكون، وتأتي التشريعات جُزءاً مِن هذهِ القوانين لتنظيم حياة بني آدم. ما يُرى أي عوالم الشهادة، عوالم الطبيعة.

● هناك إشارة في الزيارة الجامعة الكبيرة تُشير إلى ولايتهم المُطلقة الإلهية، حين تقول الزيارة:
(ونُوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم) لذلك (مَن والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عادى الله..)

■ {ادعوا ربكم تضرّعاً وخُفيةً إنّه لا يحبُّ المعتدين} بحسب ما جاء عن أهل البيت: أي ادعوا الله جهاراً وخُفية.
التضرّع : هو خُضوع وتذلّل وتوسّل في القلب ولكنّه ينعكس على اللّسان وعلى أعضاء البدن.. فهذا يُشير إلى الإعلان والإظهار.

● قولهِ تعالى: {إنّه لا يحبُّ المعتدين} فكأنّ الذي لا يدعو هو يَعتدي.. والسبب:
لأنّ الدُعاء ليس مطلوباً بألفاظه، الدعاء مطلوب بمضمونه.
الدُعاء إنّما يصدر مِن القلب حينما يكون مُنكسراً.. وفي الأحاديث القُدسية (أنا عند المُنكسرة قلوبهم) حينما يكون القلب مُنكسراً فإنّه يكون مُؤهّلاً للدُعاء.. (علماً أنّ هذا ليس مُبرّراً لأن نترك الدعاء إذا كان في حدود القراءة والتلفّظ).
الدُعاء حالة مِن حالات التواصل مع الغَيب، ولكن لابُدّ مِن انكسار القلب.. هذا هو المعنى الحقيقي للدُعاء لأنّ الإنسان حينئذٍ يستشعر معنى الافتقار.. وإذا استشعر الإنسان معنى الإفتقار فإنّه سيستشعر معنى النعمة التي مَنّ اللهُ بها عليه.. وإذا ما استشعر الإنسان النعمة التي مَنّ الله بها عليه فإنّه سيتوجّه إمّا بالشُكر، أو بالتملق، أو بالخضوع، أو على الأقل لن يكون مُتكبّراً في الساحة الإلهية.. لأنّ الكِبْر هو رداءُ الله سُبحانه وتعالى، فمَن أراد أن يُشاركهُ فيه سيُذلّه! الذي لا يعيش هذه المعاني سيكون جافياً لله تعالى، وسيكون مُتكبّراً في ساحة العبودية وهذا يكون مُعتدياً.. فهو يتصرّف كما يُريد ويأكل كما يشتهي ويُحصّل على ما يتمنّى مِن دون أن يستشعر فضْل الله عليه.
فالإنسان بحاجة للدعاء علناً وسِراً.. وكما مرّ ليس المراد من الأدعية الألفاظ.. الألفاظ في الأدعية طقسٌ.. الأصل في الأدعية انكسار في القلب، ولن يحصل الانكسار مِن دون العمل الصادق والعمل المُخلص.. فالعمل الصادق والمُخلص هو الذي يُعين الإنسان أن ينال الإنكسار في قلبه.

■ {ولا تُفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خَوفاً وطَمَعاً إنّ رحمتَ الله قريبٌ مِن المُحسنين}
حين نقول إصلاح، يعني كانت فاسدة فأُصلحت.. فالآية تنهى عن إفسادها مرّة أخرى. كانت الأرض فاسدة قبل بعثة محمّد "صلّى الله عليه وآله".. فحين هلّ علينا مُحمّد صَلُحتْ هذهِ الأرض وكَمُل صَلاحها بعليّ. هذا الإفساد يكون: بإنكار ولاية عليّ.. أي بإنكار إمامة إمام زماننا، والإنكار قد يكون مُباشر، وقد يكون غير مُباشر وهو الأخطر.. ويُشير إليه ما جاء في كلمة إمام زماننا (طلبُ المَعارف مِن غَير طَريقنا أهل البيت مُساوقٌ لإنكارنا). وهذا خطر جدّاً..! وفعلاً في الواقع الشيعي هذا هو الذي يحصل، أنّ المعارف تُطلب مِن غير طريق أهل البيتّ! الأرض كانت فاسدة فأُصلحت بِمحمّدٍ وعلي.. وشعار سيّد الشهداء يوم عاشوراء يقول: (إنّما خرجتُ لِطلب الاصطلاح في أُمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المُنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب) لأنّهم أفسدوها..هؤلاء الجمليون أفسدوا الأرض.. هذا المنهج الجملي العائشيّ السقيفي اليزيدي أفسد الأرض.

■ {وهو الذي يرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته حتّى إذا أقلّت سَحاباً ثِقالا - هو السحاب الماطر- سُقناهُ لبلدٍ ميت - ليستْ فيه خُضرة وحياة - فأنزلنا به الماء فأخرجنا به مِن كلّ الثمرات كذلك نُخرج الموتى لعلّكم تذكّرون} مثل هذهِ الآيات تأتي تَزييناً وتجميلاً للموضوع (صور جمالية في الموضوع).. موضوعنا ما بين الولاية والبراءة في هذه السُورة.

● {بُشراً بين يدي رحمته} أي بشارة، والبشارة هي إخبارٌ عن خير وليس عن شَرّ.. هي إخبارٌ بالمعاني المُفرحة، البشارة من البِشْر: والبِشْر هو الفرح، والسرور. رحمته تعالى تتجلّى في الأرض، فهو يُرسل الرياح كأنّها تُبشّر برحمة الباري التي ستظهرُ على الأرض مِن خلال هذه السحائب الثِقال..فتُلقي بمائها على الأرض.

■ {والبلد الطيب يخرجُ نباته بإذن ربّه والذي خبُثَ لا يخرج إلّا نكداً كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون}
الآية هنا تتحدّث عن البلد الطيّب وما يخرجُ من نباته، وعن البلد الخبيث وما يخرجُ من أرضه، وفي أحاديث العِترة هذا مثلٌ للإمام المعصوم الذي ينبت في الأرض الطيّبة.